الصراع العربي ـ الاسرائيلي والتطورات في أوروبا الشرقية

محمد الجندي

منذ الخمسينات، احتلت المنطقة العربية حيّزاً كبيراً في سياسة الاتحاد السوفياتي الخارجية، وازداد، مع الزمن، الى حدّ بعيد، التعاون مع مصر الرئيس الراحل جمال عبدالناصر، وسوريا، والعراق، وليبيا، والجزائر، الخ، اضافة الى تدرّج من التعاون، أقل، مع البلدان العربية ذات الانظمة «المعتدلة».

ولقيت القضية الفلسطينية، أيضاً، دعماً سوفياتياً متصاعداً في مجالات عدة، منها استقبال أعداد كبيرة من الفلسطينيين المرضى، والطلاب، وغير ذلك.

والكلام عن التعاون السوفياتي ـ العربي يمكن تكراره بالنسبة الى بلدان اوروبا الشرقية، التي قدّمت الكثير الى المنطقة العربية، والى القضية الفلسطينية أيضاً.

هذا التقارب بين البلدان العربية والاتحاد السوفياتي وبلدان اوروبا الشرقية لم يتزامن، مع الأسف، بالتقاء بين الطرفين حول التصوّرات المتعلقة بحلول القضايا العربية، والدولية. فعلى الصعيد العربي، كان هناك، عموماً، لدى الاطراف العربية، تأثيرات شوفينية على مجمل تصوراتهم لحلول القضايا الوطنية، والقومية، ونزعات أوتوقراطية في مجال السياسات الداخلية، والادارة السياسية، والاقتصادية؛ وعلى الصعيد الدولي، هناك، عموماً، تأثير كبير، أو صغير، للعلاقات السياسية والاقتصادية مع الغرب في المواقف العربية.

ربما لو وجد تقارب أعمق في التصوّرات السياسية، والاقتصادية، بين أطراف كتلة البلدان الشرقية والاطراف العربية، لتغيّر الى هذا الحد، أو ذاك، تاريخ المنطقة العربية، ولوجد بعض البلدان العربية نفسه في وضع أفضل بكثير. ربما لو وُجد التقارب المذكور، لوفّر العرب على أنفسهم، من الجملة، حربي ١٩٦٧ و١٩٧٣ ضد اسرائيل، وعقابيلهما.

مع ذلك، لم يكن عدم التقارب عائقاً دون تقديم الاتحاد السوفياتي وبلدان اوروبا الشرقية الكثير من الدعم السياسي، والاقتصادي، الى المنطقة العربية. ومن الجملة، هناك الآلاف من العرب، الذين تخرّجوا، علمياً، في البلدان الشرقية، أو درسوا، أو يدرسون، أو عولجوا، أو يعالجون، فيها.

لا ريب في ان الفضل في تمتين العلاقات، وتطويرها، بين العرب وبلدان الكتلة الاوروبية الشرقية يعود، في الجانب العربي، الى صعود الراديكاليين العرب الى الحكم منذ الخمسينات، والى مصر وسوريا بوجه خاص. أمّا، في الجانب السوفياتي، فيرجع الى عوامل عدة، قد يستطيع المرء تخمين بعضها